قراءات أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها

جمع ودراسة

أ.د . رياض حسن الخوام

جامعة أم القرى – مكة المكرمة

العدد السابع والثلاثون

يوليو ٢٠١١م

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد : فما أظن أن في تاريخنا امرأةً تبوأت منزلةً علميةً سامقةً كأم المؤمنين السيدةِ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ لأنها خُلِقَتْ لتكون كذلك ، لقد تحققتْ فيها شروطُ التميز والإبداع ، فالذكاء وقَّادٌ لماحٌ ، والذهن وضَّاء قداحٌ ، واللسان سؤولٌ ، والقلبُ عقولٌ ، ناهيك عن الحياة العلميةِ الثرةِ المعطاءةِ التي نشأت فيها وترعرت في رحابها ، فمما لا شك فيه أن عصرَ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته هو منبعُ العلومِ ومنهلُ الفنونِ فهو الأمرعُ علمًا والأكثرُ نضجًا والأعلى فصاحةً والأكثر تعددًا وتنوعًا أيضًا ، فبرزتْ في سماء العلوم عاليةً مشرقةً يشُعُّ ضياؤُها وتنتشرُ أنوارُها في ميادين الحضارة الإسلامية ، إذ قلَّ أن تجد فرعًا من فروع حضارتنا الإسلامية ليس لها فيه نصيبٌ ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ .

لقد تحدثَ عن جهودها المتنوعةِ الكثيرُ من العلماءِ القدماء والمحدثين ، ولكني لم أجد أحداً تناولَ آثارها في الدرس اللغوي مع ظهورها وبروزها في مستوياتٍ متعددةٍ وأصنافٍ متنوعةٍ ، فعزمتُ على إبراز جانب القراءات القرآنية التي قرأت بها مع بيان توجيهاتها اللغوية والنحوية والصرفية ، وإني لعلى يقين بأن ما أُقدمه هو قطرةٌ من بحور علومها المتعددة وكلمةٌ من سطرٍ في أسفارها المتنوعة ، آملا أن أكشفَ في هذا العملِ الموجزِ معالمَ من جهودها اللغوية المتألقة الناصعة وآثارَها على الدرس اللغوي العربي ، والله هو الموفق والهادي إلى الصواب.

أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ
(نسبها ـ نشأتها ـ تكوينها العلمي ـ ثناء العلماء عليها)

هي السيدةُ عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ بنتُ الإمامِ الصِّدِّيق الأكبر خليفةِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبي بكرٍ عبدِ الله بن أبي قُحافةَ ـ رضي الله عنه ـ القرشيةُ التيميةُ المكيةُ النبويةُ أمُّ المؤمنين ، زوجةُ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأُمُّها هي أم رومان بنتُ عامرٍ الكنانيةُ .

هاجرتِ السيدةُ عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ إلى المدينة وتزوَّجَها النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل مهاجرته ببضعة عشرَ شهرًا وقيل بعامين ـ ودخل بها في شوال سنة اثنتين بعد مُنصرفه من غزوة بدرٍ وهي ابنةُ تسعٍ(١) ، وماتت سنةَ سبعٍ وخمسين هجريةً في أيامِ معاويةَ وقد قاربتِ السبعينَ (٢) .

تبوأتْ عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المنزلةَ العاليةَ والمكانةَ الرفيعةَ ، وقد تضافرت النصوصُ الدالةُ على ذلك ، منها ما ذكره صاحبُ المستدركِ بإسنادٍ صالحٍ ـ كما قال الذهبي ـ عن أم سلمة أنها لما سمعتِ الصرخَة على عائشة قالت : واللهِ لقد كانت أحبَّ الناسِ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلا أباها (٣) .

ومنها ما ذكره ابنُ عيينة عن موسى الجُهني عن أبي بكرِ بن حفصٍ عن عائشةَ : أن أبويها قالا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنا نحبُّ أن تدعو لعائشةَ ونحن نَسمعُ فقال : اللهم اغفرْ لعائشةَ مغفرةً واجبةً ظاهرةً باطنةً (٤) . ويكفيها فخراً أنها زوجةُ الرسولِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدنيا والآخرة ، قال يحيى بن سعيد الأُموي : حدثني أبو العنبسِ سعيدُ بنُ كثيرٍ عن أبيه قال : حدثتنا عائشةُ أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكرَ فاطمةَ ، فتكلمتُ أنا ، فقال : أَما ترضَيْنَ أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة ، قلت : بلى واللهِ (٥) . وقد كَّرمها الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين صغّر اسَمها فقد روي أنه قال لها : يا عُويش (تصغير عائشة) ، كما صغَّر وصفها أيضًا بقوله لها : يا حُميراءُ ، تصغيرُ الحمراء والمراد بها البيضاءُ ، وفي الحديث " خذوا شطرَ دينكم من الحُمَيْراءِ " كما رخَّم اسَمها

أيضًا بقوله : يا عايشُ ، وكلُّ ذلك يدل على تلك المكانةِ التي كانت لها عند الرسول صلى الله عليه وسلم مما كان يدفعه إلى ملاطفتها بالتصرفِ بأَسمائها وأَوصافها رضي الله عنها ، ولا ننسى حديثَ الرسولِ المشهور الذي يبين فضلها على غيرها ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم " فَضْلُ عائشةَ على النساء كفضل الثّريد على سائرِ الطعام " (٦) .

تكوينها العلمي وثناء العلماء عليها :

لا شك أنها أفادتْ من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ علومَها وتأثرتْ بفصاحته صلى الله عليه وسلم ، ثم لا شك أيضًا أن سليقتَها اللغويةَ الراقيةَ ولغتَها الفصيحةَ العاليةَ تمثل الصدى العام لجو العربية في عصر الرسولِ صلى الله عليه وسلم ، فهو أفصحُ من نطق بالضاد ، وهو الذي أُوتي جَوَامِعَ الكلمِ ، بل هو الذي حَفِظ لغةَ إسماعيل ، قال عمُر بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : يا رسولَ الله ما لك أَفصحُنا ولم تخرج من بين أَظْهُرِنا ؟ قال : كانت لغةُ إسماعيلَ قد دُرِسَتْ فجاءني بها جبريلُ فحفَّظَنِيها (٧) . وقال أبو بكرٍ رضي الله عنه : يا رسولَ الله لقد طفتُ في العربِ وسمعتُ فصحاءهم فما سمعت أفصحَ منك ، قال : أدبني ربي، ونشأت في بني سعد (٨) . وعن عليٍّ رضي الله عنه قال : قلنا يا نبيَّ الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلدٍ واحدٍ وإنك تكلم العربَ بلسانٍ ما نفهم أَكثَرَه ، فقال : إنَّ الله عزَّ وجَلَّ أدبني فأحسنَ تأديبي ونشأت في بني سعد بن بكر (٩) . وقد بين الطيبي فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم بقول جامع فقال: إن " الإطناب والإيجاز والحذف والإضمار والتقديم والتأخير والحصر وعدمه لا سيما توسيط العاطف بين الجمل وعراها عنه ، وطريق المجازات والكنايات والتشبيهات ، والتحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى ، باب ذو ذيول ، وكلام ذو أطراف قل ما يقف عليه إلا المهرة من علماء البيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد ، وأوتي جوامع الكلم ، وكلامه مصبوب في هذه الأساليب ، ومسبوك في هذه الأقاليب " (١٠) . فهذا كله يدل على أن ينابيع الثقافة اللغويةِ التي نَهِلَتْ منها عائشةُ كانت موَّارةً عَذْبةً فياضةً ، فمنبعها الأول هو القرآن الكريم وهو الأفصح لغة والأرقى بلاغة والأعلى

أسلوبا في كل ما عرفه أصحاب العربية يليه لغة الرسول صلى الله عليه وسلم التي بينا بعضا من وصفها العالي ، ويلي ذلك الجو العام للعربية ، فعصر صدر الإسلام هو عصر الفصاحة والنقاء اللغوي الراقي . إذن نشأت في هذا الجّو الثقافي النقي ، وترعرعت في محاريب اللغة العربية ، ومساجيد الأساليب الراقية " فروت . كما قال الذهبيُّ . عن الرسول صلى الله عليه وسلم علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وعن أبيها وعن عمَرَ وفاطمة وسعدٍ وحمزةَ بن عمرو الأَسلمي وجُذامةَ بنتِ وهبٍ " (١١) ، ووُصِفَتْ رضي الله عنها بالصَّادقة وبالصديقة (١٢) . يضاف إلى ذلك أنها خلقت كما ذكرنا بمَلَكاتٍ متميزةٍ فاستطاعت بها أن تَبْرعَ في عددٍ من العلوم، وتُبَرِّزَ في كثيرٍ من الفنون، وتترقى إلى قِمَمِ المعارفِ ، حتى وصفَها بعضُهم " بأنها رَجُلَةُ الرأي ، أي رأيُها رأيُ الرجالِ " (١٣) . وفي رواية أخرى عن السيرافي بأنها رجلةُ العربِ قال : إنها والله لكذلك ، ولقد سمعت من يقول : كان يقال : لو كان لأبيها ذكَرٌ مثلُها لما خرجَ الأمرُ منه (١٤) . وكان لها . كما قال أبو حيان التوحيدي . كلامٌ كثيرٌ في الشريعة ، والروايةُ عنها شائعةُ الأحكامِ (١٥) . وصارت رضي الله عنها أفقهَ نساءِ الأمةِ على الإطلاق كما قال الذهبي (١٦) ، وأحسن الناس رأيًا كما قال عطاء (١٧) ، ولو جُمعَ علمُ الناسِ كلِّهم وأمهاتِ المؤمنين لكانت عائشةُ أوسعَهم علمًا كما قال الزهري (١٨) ، وحُمِلَ عنها رُبْعُ الشريعةِ كما قال الحاكم أبو عبد الله ، وليس عنا ببعيدٍ الحديثُ المشهورُ: خذوا نصفَ دينكم من الحميراء (١٩) .وأقوالُ الصحابة رضوانُ الله عليهم والتابعين والعلماء الثقّاتِ في الثناء عليها كثيرة جدًا منها ما قاله أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : ما أشكلَ علينا أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حديثٌ قط فسألنا عائشةَ إلا وجدنا عندها منه علمًا ، وقال مسروقٌ : رأيت مشيخةَ أصحاب محمد صلَّى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائضِ (٢٠). وقال أبو حفصٍ : رُوينا بسندنا عن بقيّ بنِ مُخلدٍ رضي الله عنه أن عائشةَ روتْ ألفينِ ومئتي حديثٍ وعشرةَ أحاديثَ، والذين رَووا الألوفَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : أبو هريرةَ وعبدُ الله بن عمر وأنسُ بن مالكٍ وعائشةُ رضي الله عنهم (٢١) .

وقد اشتمل كتابُ البخاري ومسلم على ألف حديث ومئتي حديث من الأحكام ، روت عائشة من جملة الكتابين مئتين ونيفًا وتسعينَ حديثًا لم يخرجْ من الأحكام منها إلا يسير . كما قال الميانشي فيما نقله عنه الزركشي . (٢٢) . وقال فيها عروةُ بنُ الزبير : ما جالستُ أحدًا قط أعلمَ بقضاءٍ ولا بحديثٍ في الجاهليةِ ، ولا أَروى في الشعر، ولا أعلَم بفريضةٍ ولا طِبٍّ من عائشةَ رضي الله عنها (٢٣) ، وأكد ذلك الزركشيُّ فيما نقله عن أبي عمرَ بن عبد البرِّ . رحمه الله . قال : إنها كانت وحيدةَ عصرها في ثلاثةِ علومٍ : علمِ الفقه ، وعلمِ الطب ، وعلمِ الشعر(٢٤) .

وبين عروةُ بنُ الزبير مصادرَ علومها بقوله : " قلت لعائشةَ : إني لأتفكَّرُ في أمرك فأَعجبُ ، أَجدُكِ من أفقهِ الناس ، فقلتُ : ما يمنعُها ؟ زوجةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وابنةُ أبي بكر ، وأَجدُكِ عالمةً بأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، فقلتُ : وما يمنعُها؟ وأبوها علامةُ قريشٍ ؟ ولكن إنما أَعجبُ أَنْ وجدتُكِ عالمةً بالطب فمن أَيَن ؟ فأخذتْ بيدي وقالت : يا عُريّةُ إن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم كَثُرَ من أسقامه ،فكان أطباءُ العرب والعجم ينعتون فتعلمتُ ذلك " (٢٥) .

والناظرُ في سيرتها العلمية يلحظ أنها كانت تسألُ الرسولَ صلى الله عليه وسلم ، والعلم كما قالوا يلزمه قلبٌ عقولٌ ولسان سؤولٌ ، لقد ذكر النحاسُ حين عرَضَ تفسيرَ قوله تعالى : " يوم تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماوات وبرزوا للهِ الواحدِ القهارِ " (٢٦) ما يدلُّ على أنها رضي الله عنها كانت تسأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم ،فقد سألته – صلى الله عليه وسلم– عن قول الله عز وجل يومَ تُبدّلُ ... قائلة : فأين يكون الناسُ يومئذ يا رسولَ الله ؟ قال : على الصراط (٢٧) . والأمثلة على كثرة أسئلتها للنبي صلى الله عليه وسلم امتلأت بها كتب العلوم الشرعية .

ومما سبق كله يبدو لنا أن مناهلَ المعرفة عند السيدة عائشةَ رضي الله عنها كانت من أعذب المناهل ، فهي تعيش منذُ ولدتْ في حديقة غناءَ أشجارها باسقةٌ ، وثمارها يانعةٌ ، وطعومها متنوعة ، أضيفَ إليها تلك

القدراتُ العقليةُ المتميزةُ فأثمرَ ذلك كلُّه علوماً متعددةً تتصل بكل العلومِ الشرعية واللغويةِ .

والذي يعنينا منها الآن هي تلك القراءات التي قرأت بها ا أُم المؤمنين ودراستها وهو ما سنقدمه ونوضحه فيما يأتي .

المبحث الثاني :آثارها في علوم القرآن (القراءات وما يتصل بها)

من البداهة أن تشارك . رضي الله عنها . في علوم القراءات ، فهي زوجُ النبي . صلى الله عليه وسلم . وبيتها كانَ مْهبِطَ الوحي ، لذا رُوِيَ عنها كثيرٌ من القراءات ، أحصينا منها الآتي :

. قرأتْ قوله تعالى : " مَالِك يوم الدين " " ملكُ يوم الدين " برفع الكاف من غير ألف ، وشاركها في هذه القراءة سعدُ بن أبي وقاص وَمورْقُ العُجَلي (٢٨) ، وتوجه على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو ملك يوم الدين .

. قرأتْ قوله تعالى :" يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين "(٢٩) " يُطَّوَّقونه " بتشديد الطاء والواو مفتوحتين ، أي يكلفونه أو يقلدونه من : اطّوّق ، وأَصلهُ تطوق على وزن تفعّل ، ثم أدغموا التاء في الطاء فاجتلبوا في الماضي والأمر همزة الوصل ، وقرأ مع عائشة مجاهد وطاووس وعمرو بن دينار ، وقال بعض الناس . كما قال أبو حيان . عن هذه القراءة بأنها تفسير لا قراءة ، والذي قاله الناس خلافُ مقالَة هذا القائل(٣٠) .

. قرأتْ قولَه تعالى : " والصلاةِ الوسطى " (٣١) بنصب الصلاة ، ووجهها الزمخشري بأنها منصوبة على المدح والاختصاص (٣٢)، وأجاز أبو حيان عطفها على موضع " على الصلوات " من قوله تعالى السابق:" حافظوا على الصلوات " لأن موضعه هو النصب كما تقول : مررت بزيد وعمْرا (٣٣) .

. قرأت قوله تعالى :" إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم "(٣٤) بفتح فاء أَنفَسهم، أي من النفاسة أي من أنفسهم وأشرفهم (٣٥) ، ونسب الزمخشريُّ هذه القراءةَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة ، وأضاف أبو حيان إليهم الضحاك وأبا الجوزاء (٣٦) ، ووجهها الزمخشري بقوله : أي من أشرفهم ، فعدنانُ ذروةُ ولد إسماعيل ، ومضُر ذروةُ نزارِ بنِ معّد بن عدنان ، وخِنْدفُ ذروةُ مضر ، ومدركةُ ذروةُ خندفَ ، وقريشٌ ذروةُ مدركةَ ، وذروةُ قريشٍ محمدٌ صلَّى الله عليه وسلم (٣٧) .

. قرأت قوله تعالى : " ذرية ضِعافًا "(٣٨) "ضُعفاء " بضم الضاد والمد كظريف وظرفاء ، وهو جمع قياسي كما قال أبو حيان ، وهي قراءة السلمي والزهري وأبي حيوة وابن محيصن أيضا (٣٩).

. قرأتْ قوله تعالى :" وما أصابك من سيئة فمن نفسك " (٤٠) ، بفتح الميم من " فمن " على الاستفهام ورفع نفسك ، قال أبو حيان : فَمنْ استفهام معناه الاستنكار ، أي فَمنْ نَفْسُك حتى يُنسبَ إليها فعل المعنى ؟ ما للنفس في الشيء فعل (٤١) ،ومن مبتدأ ونفسك خبره .

. قرأت قوله تعالى : " إن الذين آمنوا والذي هادوا والصابئون " (٤٢) بنصب " والصابئون " وشاركها في ذلك عثمان وابن جبير والجحدري وأُبيٌّ ، وقال الزمخشري : وبها قرأ ابن كثير ، وهي معطوفة على اسم إن ، وهو الوجه المرضي عند البصريين قبل استكمال الخبر وهو قوله تعالى " من آمن " (٤٣) .

. قرأت قوله تعالى : " هل يستطيع ربك " (٤٤)بالتاءالمفتوحة بدلاًمن الياءفي يستطيعُ ونصبِ ربُّكَ ، أي هل تستطيعُ ربَّك ؟ وشاركها في هذه القراءة علي بن أبي طالب ومعاذ وابن عباس وابن جبير والكسائي ، ووضح مكي وجه هذه القراءة فقال : " وحجة من قرأ بالتاء أنه جاء على مخاطبةِ الحَواريين لعيسى ، وفيه معنى التعظيم للرب جل ذكره على أن يستفهمَ عيسى ليس عن استطاعته ، إذ هو تعالى مستطيعٌ لذلك ، فإنما معناه هل تفعلُ ذلك ، على معنى افعل ذلك ، وهل تستطيعُ سؤالَ ربك في إنزالِ مائدةٍ علينا ، والمعنى هل تفعلُ لنا ذلك ، وقد علموا أن عيسى يستطيعُ السؤالَ ولا

بد من إضمارِ السؤال ، إذ لا يجوز أن يقال : هل تستطيع أن يفعلَ غيرك كذا ، فأن مفعول بالمصدر المحذوف وهو السؤال ، وهذا كما تقول للرجل : هل تستطيعُ أن تكلمني وقد علمت أنه مستطيع لذلك "(٤٥) وعضد مكي هذا التوجيه بقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ مفسرةً هذه القراءة ، قال : رُوِيَ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : كان القوم أعلمَ بالله عز وجل من أن يقولوا : هل يستطيعُ ربُّكَ ،؟ ولكن هل تستطيع ربك ؟ ورُوي عنها أنها قالت : كان الحواريون لا يشكّون أن الله يقدر على إنزال مائدة عليهم ، ولكن قالوا هل تستطيعُ ذلك ، وعن معاذ بن جبل أنه قال : أقرأنا النبي عليه السلام هل تستطيعُ ربُّكَ ، قال معاذ : وسمعت النبي عليه السلام مرارًا يقرأ بالتاء في تستطيع(٤٦)، ونقل أبو حيان عن أبي علي تقديرًا آخر لتوجيه هذه القراءة ، قال : وقال أبو علي : يمكن أن يستغنى عن تقدير سؤال على أن يكون المعنى هل تستطيعُ أن ينزل ربُّكَ بدعائك ، فيؤولُ المعنى ، ولابد إلى مقدر يدل عليه ما ذكر من اللفظ ، ورد أبو حيان هذا التوجيه بقوله : ولا يظهْر ما قال أبو علي لأن فعلَ الله تعالى وإن كان سببه الدعاء لا يكون مقدورا لعيسى (٤٧) ، وقد قرأ الجمهور بالياء على معنى : هل يفعل ربك ذلك (٤٨) .

ـ قرأت قوله تعالى :" قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرمًا على طاعم يطعمه " (٤٩) " على طاعمٍ طَعِمَه " على أن طَعِمَهُ فعلٌ ماض وليس مضارعًا كما هو في قراءة السبعة ، وشاركها في ذلك محمد بن الحنفية(٥٠) ، وذكر أبو حيان أن قراءتها هي على طاعم تطعمه بالتاء على أنه فعل ماض على تفعل (٥١)، ولعل لها قراءتين في ذلك .

ـ قرأت قوله تعالى :" لقد جاءكم رسول من أنفسكم "(٥٢) بفتح الفاء " من أنفسكم " ، أي من أشرفكم وأفضلكم ، قال الزمخشري : قيل : هي قراءةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفاطمةَ وعائشةَ رضي الله عنهما (٥٣) .

ـ قرأت قوله تعالى :" بدم كذب " (٥٤) " بدم كدب " بالدال ، قال القرطبي :" وقرأ الحسن وعائشة بدم كدب ، أي بدمٍ طري ، يقال للدم الطري :

الكدب ، وحكي أنه المتغير قاله الشعبي ، والكدب أيضًا البياض الذي يخرج في أظفار الأحداث ، فيجوز أن يكون شبَّهَ الدَّمَ في القميص بالبياض الذي يخرج في الظفر من جهة اختلاف اللونين" (٥٥) .

. قرأتْ قولَه تعالَى :" وظنوا أنهم قد كذبوا " (٥٦) ، بتشديد الذال والبناء للمجهول " كُذّبوا " ، وشاركها في هذه القراءة الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وأبو رجاء وابن أبي مليكة والأعرج (٥٧) ، وأشار مكي إلى أن الكوفيين قرأوا بالتخفيف وشدد الباقون من القراء السبعة (٥٨) ، وبين مكي حجة من شدد بقوله : حمله على معنى أن الرسل تلقّاهم قومهم بالتكذيب ، فالظن بمعنى اليقين ، وفي ظنوا ضمير الرسل ، فالهاء والميم في أنهم للرسل ، فعطفوه على استيأس الرسل والتقدير : وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما جاؤوهم به من عند الله جل ذكره (٥٩) ، ثم ذكر تفسيرَ عائشةَ لهذه القراءة بقوله " وقد روي عن عائشة رضي الله عنها في هذه القراءة معنى غير ما ذكرناه ، أنها قالت : لَحِقَ الرسلُ البلاءَ والضررَ حتى ظنوا أن المؤمنين قد كذَّبوهم لِما لَحِقَ المؤمنين من الفتن على الإيمان ، فيكون الظنُّ على هذا بمعنى الشك ، والتقدير : وظن الرسلُ أن مَنْ آمن بهم قد كذَّبوهم لِمَا لحقهم من البلاء من الكفار (٦٠) .

. قرأت قوله تعالى :" إن هذان لساحران " (٦١) " إن هذين " بتشديد إن وهذين بالياء بدل الألف ، ورويت هذه القراءة أيضًا عن الحسن والأعمش والنَّخَعي والجَحْدري وابن جبير وابن عبيد ، وإعراب ذلك واضح ،إذ جاءت القراءة كما يقول الآلوسي على المَهْيَعِ المعروف في مثله (٦٢) ، ووضَّحَ مكي هذه القراءة بقوله : أَعمل إنَّ في هذان فنصبته وهي اللغة المَشهورة المستعملة ، لكنه خالفَ الخطَّ فضُعِّفَ في ذلك (٦٣) ، ومراده أنها خالفت رَسم المصحفِ الإمامِ ، فإن اسم الإشارة فيه بدون ألف وياء ، فإثبات الياء زيادةٌ عليه (٦٤)، ورد الآلوسي ذلك بقوله : ولو سَلِمَ فكم في القراءات ما خالف رسمُهُ القياسَ مع أن حذف الألف ليس على القياس أيضًا (٦٥) .

. قرأت مع ابن عباس قوله تعالى :" والذين يُؤتُونَ ما آتوا وقلوبُهم وجِلَةٌ " (٦٦) " والذين يأتون ما أَتَوْا " من الإتيان ، وهي قراءة مرويةٌ عن

النبي صلى الله عليه وسلم أيضا كما قال النحاس ، ومعناها أنهم يعملون ما عملوا (٦٧) ، وصدَّرَ النحاسُ هذا ببيان معنى الآية بما يفيد كيف كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تسأل النبي صلى الله عليه وسلم ويجيبها ، قال النحاس :" قال عبد الرحمن بن سعيد الهمداني : عن عائشةَ رضي الله عنها ـ قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى " والذين يؤتُون ما آتَوا وقلوبُهم وجِلةٌ ... " أهو الرجل يزني أو يسرقُ أو يشربُ الخمرَ ؟ فقال : لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألّا يُتقبّلَ منه (٦٨) .

ـ قرأت قوله تعالى :" فمنها رَكوبهم " (٦٩) " ركوبتهم " بالتاء(٧٠) ، وهي فَعولة بمعنى مفعولة ، قال الزمخشري : وقيل الركوبة جمع انتهى (٧١) ، قال أبو حيان : ويعني اسم جمعٍ لأن فعولة بفتح الفاء ليس بجمعِ تكسيرٍ ، وقد عدَّ بعضُ أصحابنا أبنية أسماء الجموع فلم يذكر فيها فَعولةً ، فينبغي أن يعتقد فيها أنها اسم مفرد لا جمعُ تكسيرٍ ولا اسمُ جمعٍ ، أي مركوبتهم كالحلوبة بمعنى المحلوبة (٧٢) .

ـ قرأت قولَه تعالى :" إذ تَلقَّونه بأَلسِنتكُم " (٧٣) بفتح تاء " تلقونه " وكسر اللام وضم القاف " تَلِقُونه" أي ترددونه من ولْقِ الكلام أي كَذِبه (٧٤) ، وقيل : إن هذه اللفظة مأخوذة من الولْقِ الذي هو الإسراع ، وقد ربط الفراء بين المعنيين بقوله :" والولْقُ في السير ، والولْقُ في الكذب بمنزلته إذا استمر في السير والكذب فقد ولق " (٧٥) ، ففي ترداد الكلام وتتابعهِ شَبَهٌ بتتابع السيرِ ، لكن بعضهم مال إلى أن المرادَ في هذه القراءة هو الكذب ، قال الآلوسي :" ورُوِيَ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها كانت تقرأ ذلك وتقول : الولْقُ الكذب ، وقال ابن أبي مُليكة : وكانت أعلمَ من ذلك بغيرها لأنه نزلَ فيها (٧٦) ، وأفاد أهل اللغة من هذه القراءة ، قال الآلوسي :" وفيه ردٌّ على من زعم أن وَلَقَ إن كان بمعنى كَذَبَ لا يكون متعديًا ، وهو ظاهر كلام ابن سيده ، وارتضاه أبو حيان ، ولذا جَعلَ ذلك من باب الحذف والإيصال ، والأصل تُلقونَ فيه"(٧٧) .

. قرأتْ قوله تعالى : " بلى قد جاءتكَ آياتي " (٧٨) بكسر الكاف والتاء مخاطبةً للنفس (٧٩)، وشاركها في هذه القراءة أبوها أبو بكر . رضي الله عنهما . وروتها أم سلمة عن النبي . صلى الله عليه وسلم . وقرأ بذلك ابنُ يَعْمَر ، والجَحْدَري ، وأبو حيوة ، والزعفرانيُّ ، وابنُ مُقْسمٍ ، ومسعود بن صالح ، والشافعي عن ابن كثير (٨٠) ، وذكر النحاس أن بعضهم أنكر هذه القراءة وقال : يجب إذا كسر التاء أن يقول : وكنتِ من الكوافر أو من الكافرات ، ورد النحاس هذا الإنكار بقوله : وهذا لا يلزم ألا ترى أن قبله " أن تقولَ نفسٌ" ثم قال " وإن كنتُ لمن الساخرين " ولم يقل من السواخر ولا من الساخرات ، والتقدير في العربية على كسر التاء : واستكبرتِ وكنتِ من الجميع الساخرين أو من الناس الساخرين أو من القوم الساخرين ، و"قوم" يقع للرجال والنساء إذا اجتمعوا ، وللرجال مفردين كما قال الشاعر :

وما أدري وسوفَ إخالُ أدري أَقومٌ آلُ حصنٍ أَمْ نساءُ(٨١)

. قرأت قولَه تعالى : " فَروحٌ وريحانٌ " (٨٢) بضم راء فروح والجمهور بفتحها ، وشاركها في هذه القراءة ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ونوح القارئ ، والضحاك ، والأشهب ، وكثير غيرهم (٨٣)،

ووجه الزمخشري هذه القراءة ناقلاً عن الحسن قوله " وقال : الروحُ الرحمةُ ، لأنها كالحياة للمرحوم ، وقيل : البقاءُ ، أي فهذان له معًا وهو الخلود مع الرزق والنعيم ، والريحان الرزق " (٨٤) ، وأشار أبو البقاء إلى الفرق بين قراءة الجمهور . بفتح الراء . وهذه القراءة فقال : " فالفتح مصدر ، والضم اسم له ، وقيل : هو المتروَّحُ به " (٨٥) .

. قرأتْ قولَه تعالى :" عالِيَهُم ثيابُ سُنْدُسٍ " (٨٦) " علتهم " بتاء التأنيث ، على أن علت فعل ماض وثياب فاعل (٨٧) .

. قرأت قوله تعالى :" وبُرِّزَتِ الجحيمُ لِمَنْ يَرى " (٨٨) " وبَرَزَتْ " بالتخفيف والبناء للفاعل وترى بالتاء ، وشاركها في هذه القراءة زيد بن علي ، وعكرمة ، ومالك بن دينار (٨٩) ، ووجه أبو حيان هذه القراءة قائلاً " وبتاء يجوز أن يكون خطابًا للرسول صلى الله عليه وسلم ، أي لمن تَرى من أهلها ، وأن يكون إخبارًا عن الجحيم فهي تاء التأنيث ، قال تعالى :" إذا

رأَتْهم من مكانٍ بعيدٍ " " (٩٠) ، فإن قيل : كيف تم إسناد الرؤيا إلى جهنم على هذا التقدير ؟ فالجواب في قول الآلوسي " وإسناد الرؤيا لها مجاز وهو حقيقة على أن يخلقَ الله تعالى ذلك فيها " (٩١) ، وأضاف الآلوسي أن الخطَابَ قد يكون موجهًا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما أفاد أبو حيان من قبلُ ، أو إلى كل راء كقوله تعالى : " ولو ترى إذ المجرمون " أي لمن تراه من الكفار (٩٢) .

. قرأت قوله تعالى :" ألهاكم التكاثرُ " (٩٣) بالمد على الاستفهام أي " آلهاكم " ، وشاركها في هذه القراءة ابن عباس ، ومعاوية ، وأبو عمران الجوني ، وجماعة ، ومعنى الاستفهام هنا هو التوبيخ والتقرير (٩٤).

هذه هي القراءات التي رصدناها للسيدة عائشة . رضي الله عنها . تلك التي نصتْ كتبُ القراءات والتفسير على أنها قرأت بها ، وقد بينا توجيهَ النحاة لها وما ذكروه حولها ، أما القراءات التي روتها السيدة عائشة ولم تنصَّ كتبُ القراءات والتفسير صراحةً على أنها قرأت بها فقد رصدنا منها ما يأتي :

١. روايتها لقراءة النبي . صلى الله عليه وسلم . لقوله تعالى : " إنه عَمَلٌ غيرُ صالحٍ " (٩٥) ، أنه قرأ :"إنه عَمِل غيرَ صالحٍ " على أن عمل فعل ماض ونصب غير ، قال الفراء : " وحدثني أبو إسحاق الشيباني قال : حدثني أبو روقٍ عن محمدِ بنِ حُجادةَ عن أبيه عن عائشة قالت : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ " إنَه عمِلَ غيرَ صالحٍ " " (٩٦) –على أن عمل فعل ماض ونصب غير–وأكد الفراء هذه القراءة بقوله " وحدثني ابن أبي يحيى عن رجل قد سماه قال : لا أراه إلا ثابتًا البناني عن شهرِ بنِ حوشبٍ عن أم سلمَة قالت : قلت يا رسول الله كيف أقرؤها ؟ قال : " إنه عَمِل غيرَ صالحٍ " " (٩٧) ، وممن قرأ بذلك الكسائي من السبعة ، وقرأ الباقون بفتح الميم وضم اللام منونة والباقون رفعوا ، وبين مكي وجه هذه القراءة بقوله " وحُجَّةُ من قرأ بكسر الميم ونصب غيرًا أنه جعل الضمير في إنه لابن نوح ، فأخبر عنه بفعله وجعل غيرًا صفة لمصدر محذوف ، والتقدير إن ابنك عَمِل عملا غير صالح ، أما قراءة الجمهور فالضمير في إنه راجِع

إلى السؤال ، فجعل العملَ خبرَ إنَّ لأنه هو السؤال ، وجعل غيرًا صفة للعمل ، والتقدير : إن سؤالك أَنْ أنجي كافرًا عملٌ منك غيرُ صالح " (٩٨) .

٢ ـ روايتها لقوله تعالى : " قالوا يا أبانا ما نبغي " (٩٩) بفتح التاء للخطاب ، قال الآلوسي : " وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة : " ما تبغي " بتاء الخطاب ، وروت عائشة رضي الله تعالى عنها ذلك عن النبي ، والخطاب ليعقوب عليه السلام " (١٠٠).

هذا ما جمعناه من قراءات السيدة عائشة ـ رضي الله عناه ـ ورواياتها لبعض الآيات القرآنية ، ويجدر أن ننبه إلى أن بعضَ مبغضي عائشة ـ رضي الله عنها ـ نسبَ إليها قولاً مضمونه أن اللحن واقع في القرآن الكريم ، لكن المحققينَ من العلماء رَدُّوا ذلك ونَفَوا عنها تلك التهمة ، قال ابن هشام : " وقال المهدويُّ في شرح الهداية : وما رُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها من قولها : " إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها" ، لم يصحَّ ولم يُوجَدْ في القرآن العظيم حرفٌ واحدٌ إلا وله وجهٌ صحيحٌ في العربية ، وقد قال الله تعالى :" لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ " (١٠١) ، والقرآنُ محفوظٌ من اللحن والزيادة والنقصان " (١٠٢) .

وقلنا إن بعض مبغضيها هم الذين نسبوا إليها هذا الزعم ، لأن هذا الزعم نُسِبَ إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ورده ابن تيمية أيضا فيما نقله عنه ابن هشام ، قال : " قال ـ رحمه الله ـ : وقد زعمَ قوم أن قراءة من قرأ " إن هذان " لحن ، وأن عثمانَ رضي الله عنه قال : " إن في المصحف لحنا ، وستقيمه العربُ بألسنتها " ، وهذا خبرٌ باطلٌ لا يصحُّ من وجوه :

أحدها : أن الصحابةَ رضي الله عنهم كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات ، فكيف يُقرونَ اللحنَ في القرآن مع أنهم لا كُلفةَ عليهم في إزالته ؟

والثاني : أن العربَ كانت تستقبحُ اللحنَ غايةَ الاستقباح في الكلام ، فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟

والثالث : أن الاحتجاجَ بأن العربَ ستقيمه بألسنتها غيرُ مستقيم ، لأن المصحفَ الكريمَ يقفُ عليه العربيُّ والعجميُّ .

والرابع : أنه قد ثبتَ في الصحيح أن زيدا بن ثابت أراد أن يكتب (التابوت) بالهاء على لغة الأنصار فمنعوه من ذلك ورفعوه إلى عثمانَ رضي الله عنهم وأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش ، ولما بلغ عمر رضي الله عنه أن ابنَ مسعود رضي الله عنه قرأ (عتّى حينٍ) . بالعين . على لغة هذيل أنكرَ ذلك عليه وقال : أقرئ الناسَ بلغة قريشٍ فإنَّ الله تعالى إنما أنزله بلغتهم ولم يُنزِلْهُ بلغةِ هذيلٍ . " (١٠٣) .

ومن هذا كله نتبين أنه لا صحةَ لهذا القول سواءً نُسِبَ إلى سيدنا عثمان أم إلى السيدة عائشة . رضي الله عنهما . وتابعَ ابنُ هشامٍ حديثَهُ بعدَ ذلك نافياً عنها ما نُسِبَ إليها أيضًا مما يُعتَقدُ أن مبغضيها انتحلوه عليها ، قال ابن هشام : " وإنما المرويُّ عن عائشة ما رواه الفراء عن أبي معاويةَ عن هشامِ بنِ عروةَ عن أبيه أنها رضي الله عنها سُئلتْ عن قوله تعالى سورة النساء " والمقيمينَ الصلاةَ " بعد قوله : " لكنِ الراسخون " ، وعن قوله تعالى في المائدة " إن الذين آمنوا والذين هادوا " وعن قولهِ تعالى في سورة طه " إن هذان لساحران " فقالت : يا ابن أخي هذا خطأ من الكاتب " (١٠٤) ، وردَّ ابنُ هشامٍ ذلك قائلاً : " روى هذه القصةَ الثعلبيُّ وغيرهُ من المفسرين ، وهذا أيضًا بعيدُ الثبوت عن عائشةَ رضي الله عنها ، فإن هذه القراءاتِ كُلها موجهةٌ ... وهي قراءةُ جميعِ السبعة في : المقيمين والصابئون ، وقراءةُ الأكثر في : إن هذان، فلا يتجه القولُ بأنها خطأٌ لصحتِها في العربية وثبوتِها في النقلِ " (١٠٥) .

ومن المفيد جدًّا أن نذكرَ ما ذكره الآلوسي نقلاً عن ابن إشتة من تفسير متميز حول لفظة " الخطأ " الواردة في قول عائشة . رضي الله عنها . ، قال الآلوسي : " وأما الخبرُ السابق عن عائشة فقد أجاب عنه ابنُ إشتة ، وتبعه ابنُ جُبارةَ في شرح الرائية بأن قولَها : أخطأوا ، على معنى أخطأوا في اختيار الأَوْلى من الأحرف السبعة لجمعِ الناس عليه ، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأٌ لا يجوزُ ، فإن ما لا يجوزُ من كل شيء مردودٌ بالإجماع وإن طالتْ

مدةُ وقوعه ، وبنحو هذا يُجابُ عن أخبارٍ رُوِيتْ عنها أيضًا " (١٠٦) ، وانتقل الآلوسي أيضًا إلى تفسيرِ اللحن الوارد في كلامها أيضا ، فنقل عن ابن إشتة أيضًا قوله : أن المراد باللحن هنا اللغة(١٠٧) .

وكانت . رضي الله عنها . وقَّافةً عند الحق ، فربما اجتهدتْ ثم تراجعتْ إن ظهرتْ لها الحجة أو بان لها دليل ، يدلنا على ذلك أنها ردتْ ومعها سعدُ بنُ أبي وقاص وابنُ عباس وابنُ عمر(١٠٨) قراءةَ علي وأبي الدرداء وأبي هريرة وجماعة لقوله تعالى :" عندها جَنَّةُ المَأْوَى "(١٠٩) فقد قرأ هؤلاء " عندها جنَّه المأوى " بهاء الضمير ، وجن فعل ماض ، والهاء ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ، أي عندها ستره إيواءُ اللهِ تعالى وجميلُ صنعه ، وقيل : ضمه المبيتُ والليلُ ، وقيل : جنه بظلاله ودخلَ فيه (١١٠) ، على أن المأوى مصدرٌ ميمي أو اسمُ مكان (١١١) ، لكن السيدة عائشةَ رضي الله عنها ومن معها رَدُّوا هذه القراءة وقالوا : أجنَّ الله من قرأها ، أي جعله مجنوناً أو أَدخله الجَنَنَ وهو القبر (١١٢) ، وإنما ردت . رضي الله عنها . هذه القراءةَ لأن المستعملَ كما قال أبو البقاء هو أَجنَّه وليس جَنَّهُ ،أي أن جَنَّه . كما قال الآلوسي . بمعنى ستره شاذ والمستعمل أَجنه (١١٣) ، والظاهر أنها . رضي الله عنها . كانت تذهب إلى أن المعنى هو جنةٌ من الجِنَانِ ، وهذا المعنى يتفق مع قراءة الجمهور " جنة المأوى" بالتاء ، قال الفراء مشيراً إلى ذلك : " وحدثني بعضُ المشيخةِ عن العرزَمي عن ابن أبي مُليكة عن عائشةَ أنها قالت : جنة من الجنان " (١١٤) ، وإلى مثل هذا ذهبَ ابن عباس أيضًا ، قال النحاسُ بعد ذكره أسماءَ الصحابةالذين أنكروا هذه القراءة " وقال ابن عباس : هي مثل جنات المأوى"(١١٥) ، وعلق النحاسُ قائلاً : " فهذه حجةٌ بينةٌ مع إجماع الجماعة الذين تقوم بهم الحجة " (١١٦) ، أي إجماع هؤلاء على إنكارها ، ثم عرَّجَ على ما قد يُظَنُّ أن السيدةَ عَائشة والمنكرين لهذه القراءة بنوا إنكارهم على ذلك قال :" وأيضًا فإنه يقال : أَجنه الليلُ، وَجَنَّ عليه ، ولغةٌ شاذةٌ جنَّهُ الليلُ "(١١٧) ، ومراده أن جنه الليلُ شاذة لذا فالقراءةُ لا يعول عليها ، والظاهر أن السيدةَ عَائشة . رضي الله عنها . بعد إنكارها القراءة لأن جنه الليل ليست مستعملةً اطلعتْ

على أن هناك من يقول ـ كما قال ابن جني ـ جنَّ عليه الليلُ وأجنه الليل ، وقالوا : جنه بغير همز ولا حرف جر (١١٨) ، مما دفعها إلى إجازة هذه القراءة بعد ذلك ، قال أبو حيان : " وقيل : إن عَائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أجازتها " (١١٩) .

ولا بد أن نشير أيضًا إلى أنها ـ رضي الله عنها ـ لما كانت على معرفة تامة بأسباب النزول مع فقهها لكلام العرب ومراميه فقد امتلأت كتبُ التفسير بتفسيراتها لكثير من الآيات القرآنية ، من ذلك ما نقله الفراءُ عنها في تفسيرها اللغو في قوله تعالى : " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم " (١٢٠) ، إذ فسرت اللغو بأنه ما جرى في كلام العرب من قولهم : لا والله ، وبلى والله ، وقد قوى الفراءُ رأيَها بعد ذكره مع غيره من الآراء بقوله : " وكان القولُ الأولُ ـ وهو قولُ عائشةَ ـ إن اللغو ما يجري في الكلام على غير عَقْدٍ أشبهَ بكلامِ العرب " (١٢١) ، وقوى أبو جعفر النحاس أيضًا قولَها بعد ذكره أقوالاً أخرى قائلاً: وأَولَى هذه الأقوال قولُ عائشةَ لأن يحيى القطان قال : حدثنا هشام بن عروة ، قال : أخبرني أبي عن عائشةَ في قوله " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم " قالت : نزلت في قول الرجل : لا واللهِ ، وبلى واللهِ ، فهذا إخبار منها عن علمها بحقيقة ما نزلت فيه هذه الآية (١٢٢)، وواضح أن النحاس أيد ما ذكرته السيدة عائشة في تفسيرها لتميزه بذكرِ سبب رأيها ، ومثل ذلك أيضًا ما نقله عنها في قوله تعالى " ولا تتخذوا آيات الله هزوًا " (١٢٣) ، قال:" ورُوِيَ عن عائشةَ أن الرجلَ كان يطلق امرأته ثم يقول : واللهِ لا أُورِّثُكِ ولا أَدعُكِ ، قالت : وكيف ذاك؟ قال : إذا كنت تقضينَ عُدَّتَكِ راجعتُكِ ، فنزلت " ولا تتخذوا آيات الله هزوًا " .

قال أبو جعفر : وهذا من أجودِ هذه الأقوال لمجيئها بالعلة التي أنزلتْ من أجلها الآية " (١٢٤) .

ولا ريب أن تفسيراتِها المتجهةَ عند أهل التفسير تلك التي اعتمدتْ فيها على بيان علة ما ذهبتْ إليه على نحو ما ذكرنا سابقاً انضافَ إليها فهُمها لكلامِ العرب وأساليبهم اللغويةِ مما جعل أقوَالها عند المفسرين في المنزلة العالية مثال ذلك : ما ذكره المفسرون عند قوله تعالى " إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف

بهما "(١٢٥) فقد فَهِم عروةُ بنُ الزبير أن ترك الطواف بينهما جائز ، قال عروة لعائشة : ما أرى على أحدٍ لم يطفْ بين الصفا والمروة شيئًا ، وما أُبالي أَلاَّ أطوف بينهما ، فقالت : بئسَ ما قلت يا ابن أخي ، طاف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وطافَ المسلمون وإنما كان من أهلّ لِمنَاة الطاغيةِ التي بالمُشَلّلِ (١٢٦)لا يطوفون بين الصفا والمروة فأنزلَ الله تعالى " فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناحَ عليه أن يطوف بهما " (١٢٧) ، وعلق القرطبي قائلاً " ولو كانت كما يقول لكانت فلا جناح عليه أَلا يطوفَ بهما ، قال الزُّهري : فذُكِرَ ذلك لأبي بكر بنِ عبد الرحمن بنِ الحارثِ بنِ هشام فأعجبه ذلك وقال :إن هذا لَعِلمٌ " (١٢٨) .

وعرضَ ابنُ العربي لهذه المسألة فقال : " وتحقيقُ القولِ فيه أن قولَ القائل: لا جناحَ عليك أن تفعلَ ، إباحةُ الفعل وقوله : لا جناحَ عليك أَلاَّ تفعَل إباحةٌ لتركِ الفعل ، فلما سَمِعَ عُروةُ قولَ الله تعالى " فلا جناح عليه أن يطوف بهما " قال هذا دليلٌ على أن ترك الطواف جائز ، ثم رأى الشريعةَ مطبقةً على أن الطوافَ لا رخصةَ في تركه ، فطلبَ الجَمع بين هذين المتعارضين ، فقالت له عائشة : ليس قولُه " فلا جناحَ عليه أن يطوف بهما " دليلاً على تركِ الطواف ، إنما كان يكون الدليلُ على تركه لو كان : فلا جناحَ عليه ألا يطّوّف بهما ، فلم يأتِ هذا اللفظُ لإباحةِ تركِ الطوافَ ولا فيه دليلٌ عليه ، وإنما جاء لإفادةِ إباحةِ الطوافِ لمن كان يتحَّرجُ منه في الجاهلية ، أو لمن كان يطّوّفُ به في الجاهلية قصدًا للأصنام التي كانت فيه فأعلمهم الله سبحانه أن الطوافَ ليس بمحظورٍ إذا لم يقصدِ الطائفُ قصدًا باطلاً " (١٢٩) ، ووضح الزركشي أيضا ذلك بعد أن سرد القصة فقال : " فقالت له عائشة رضي الله عنها : لو كان الحرجُ في الترك وأريد نفيُه كان : لا جناح ألا يطوفَ ، لكن الحرج كان في الفعل فقيل : لا جناح أن يطوف"(١٣٠) ولا شك أن ما ذكروه من تفسيرها لهذه الآية يدل على مدى فهمها لكلامِ العرب ودلالاتهم التي يرومونها من كلامهم ، فكأن ما ذكره ابنُ العربي والزركشي وغيرهما من التفريق بين أسلوبي لا جناح عليك أن تفعل ولا جناح عليك ألا تفعل، كان في خلدِها وعَقْلِهَا حين أجابتْ عروةَ بنَ الزبير ـ رضي الله عنهما ـ .

وقد نوه إلى ذلك ابن العربي مبيناً رقي سليقتها اللغوية حين قال " قال الفراء : معنى قول الله (لا جناح عليه أن لا يطوف بهما) معناه أن يطوف وحرف "لا" زائدة وهذا ضعيف من وجهين: **أحدهما:**

أنا قد بينا في مواضع أنه يبعد أن تكون " لا زائدة "

الثاني : أنه لا لغوي ولا فقيه يعادل عائشة رضي الله عنها، وقد قررتها غير زائدة وقد بينت معناها فلا رأي للفراء ولا لغيره (١٣١)

ولا شك أن قوةَ آرائها وبخاصة تلك الآراءِ التي شاركها فيها صحابةٌ آخرون صارتْ فيما بعد معتمدةً من قبل الفقهاء من ذلك ما ذكره أبو حيان في تفسير قولهِ تعالى " فكفارته إطعامُ عشرةِ مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم "(١٣٢) فبعد أن أورَدَ عددًا من الأقوال المبينة لمقدار الطعام ، قال : ورُوِيَ عن عمَرَ وعليٍّ وعائشةَ نصفُ صاعٍ من بُرٍّ أو صاعٍ من تمرٍ ، وأضاف قائلاً : وبه أخذ أبو حنيفة (١٣٣).

رحم اللهُ أمَّ المؤمنين ورضي عنها فقد قلّ نظيرُها وندرَ شبيهُها بين النساء ، فهي مكتبةٌ شرعيةٌ لغويةٌ زاخرةٌ، ومدرسةٌ إيمانية أخلاقية فاضلة، لا ينكر فضلَها إلا جُوَيْهلٌ حاقدٌ ولا يجحدُ مناقِبَها إلا مسعورٌ حاسدٌ . ورحم الله القائل :

ما ضرَّ شمسَ الضحى في الأفقِ طالعةً
أَلَّا يرى ضَوْءَها مَنْ ليس ذا بَصَرِ

ولله در من قال أيضًا :

دعِ الحسودَ على أسقامِ باطنِهِ قدْ يستلذُّ حِكاكَ الجِلْدِ مَن جَرِبَا

تم البحث ولله الحمد والمنة

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الخاتمة

بعد إلقائنا الضوء على قراءات السيدة أم المؤمنين رضي الله عنها وتوجيه النحاة لها خلصنا إلى ما يأتي

١. أنها شخصيةٌ علميةٌ نادرةٌ ، فهي دائرة معارف برزتْ في العلومِ الشرعية وبرعتْ في الفنونِ اللغويةِ.

٢. أثارت آثارُها من مروياتٍ وأقوالٍ حركةً علميةً نشطةً عبرَ التاريخ ، فقلَّ أن تجدَ كتابًا في التفسير واللغة والنحو والصرف والأدب ...إلخ ليس لها فيه نصيبٌ وافر متميز ، لقد شاركت في صنع هذه الحركة العلمية التي أدت إلى ازدهار الحضارة الإسلامية .

٣. أن بعضَ قراءاتها له تعلُّقٌ بجوانبَ صرفيةٍ كقراءة " فمنها ركوبتهم " وبعضُها له تعلَّقٌ بمسائلَ نحويةٍ كقراءة " إن هذان لساحران " وبعضُها أفادَ في تأصيلِ وتعضيدِ مسائلَ لغويةٍ نتجَ عنها آثارٌ نحويةٌ كقراءة "لا يلقونه" بكسر اللام وضم القاف .

٤. أن هناك قراءاتٍ كثيرةً شاركها فيها غيرُها ، وصارتْ بعض القراءات فيما بعدُ من السبعة .

٥. كانت رضي الله عنها رَّجاعةً إلى الحق ، بدا ذلك في إنكارها أولاً قراءةَ " عندها أَجنَّهُ المأوى " ، ثم إجازتها بعد أن تبين لها الدليل والله أعلم ، وهذا يدلُّ على الرقيِّ العلميِّ الذي كانت تتمتعُ به رضي الله عنها وأرضاها.

٦. أن الدرسَ اللغويَّ بحاجةٍ إلى دراسات لغوية تتصلُ بعصرِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم لِتضيءَ كثيرًا من الجوانب اللغوية التي تمثل ذلك العصرَ، وتساعدَ فيما بعدُ على رصد الحركةِ اللغويةِ بدقة منذ العصر الجاهلي إلى نهايةِ عصرِ الاحتجاج .

الهوامش

١- سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣٥/٢ .

٢- العقد الفريد ٣٠٥/٤ .

٣. سير أعلام النبلاء ١٩١/٢ ، والصرخة : الصوت الحادث عند نزع الروح .

٤. سير أعلام النبلاء ١٩٩/٢ . لم نقم بتخريج الأحاديث لأن محققي الكتب التي نقلنا منها الأحاديث قاموا بتخريجها وتوثيقها على الغالب .

٥. سير أعلام النبلاء ١٩٩/٢.

٦. فقه اللغة ٣٨٢ قال الثعالبي : " ومنها تصغير إكرام ورحمة كقولهم يا بُنَيّ ويا أُخَيّ ، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم " يا حميراء " ، وانظر الإجابة ٣٨ ـ ٦٤ ، قال ابن منظور في اللسان في مادة (حَمِرَ) مشيرا إلى أن معنى حمراء هو بيضاء ما نصه " والعرب تقول : امرأة حمراء أي بيضاء ، وسئل ثعلب : لِمَ خص الأحمر دون الأبيض ؟ فقال : لأن العرب لا تقول : رجل أبيض من بياض اللون ، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب ، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا : أحمر ، ونقل عن الجوهري قوله : والعرب إذا قالوا : فلان أبيض وفلان بيضاء ، فمعناه الكرم في الأخلاق لا لون الخلقة ، وإذا قالوا : فلان أحمر وفلان حمراء عنوا بياض اللون " ، والظاهر أن عائلة أبي بكر كانت كذلك ، فقد ذكر صاحب اللسان أيضا في مادة (عتق) أن أبا بكر سمي عتيقا لجماله .

٧. الأنوار المحمدية ٢٠١ ، وقال بعدها : رواه أبو نعيم .

٨. الأنوار المحمدية ٢٠١ .

٩- الأنوار المحمدية ٢٠١.

١٠- شرح المصابيح للطيبي ٣٣٨/١ .

١١- سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢ .

١٢- مجالس ثعلب ٤٥٢/١ ، والقاموس المحيط مادة (روم) .

١٣. اللآلئ المنثورة ٩٣١/١ ، واللسان ، مادة : رجل .

١٤. الإمتاع والمؤانسة١٩٩/٣ .

١٥. الإمتاع والمؤانسة ١٩٩/٣ .

١٦. سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢ .

١٧. الإجابة ٥٦ .

١٨. سير أعلام النبلاء ١٩٩/٢ .

١٩. الإجابة ٥٨ ، وشذرات الذهب ١١١./١

٢٠. الإجابة ٥٨ ـ ٥٩ ، وشذرات الذهب ١١١/١ .

٢١. الإجابة ٥٩ ، وشذرات الذهب ١١١/١ .

٢٢. الإجابة ٥٩ .

٢٣. شذرات الذهب ١/١١١ .
٢٤. الإجابة ،٥٦ .
٢٥. الإجابة ٥٦ . ٥٧ .
٢٦. الرعد ٤٨ .
٢٧. المعاني ٣/٥٤٥ .
٢٨. البحر المحيط ١/٢٠ .
٢٩- البقرة ١٨٤ .
٣٠. البحر ٢/٣٥ . وانظر روح المعاني ٢/٨٥ .
٣١. البقرة ٢٣٨ .
٣٢. الكشاف ١٧٠ .
٣٣. البحر ٢/٢٤٢ .
٣٤. آل عمران ١٦٤ .
٣٥. الكشاف ٢٠٤ ، والبحر ٣/١٠٤ .
٣٦. الكشاف ٢٠٤ ، والبحر ٣/١٠٤ .
٣٧ . الكشاف ٢٠٤ .
٣٨ . النساء ٩ .
٣٩ . البحر ٣/١٧٨ .
٤٠. النساء ٧٩ .
٤١ . البحر ٣/٣٠٢ .
٤٢ . المائدة ٦٩ .
٤٣ . الكشاف ٣٠٢ ، والمحرر الوجيز ٤/٥٢٢ ، والبحر ٣/٥٣١ ، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٦٤٥ .
٤٤ . المائدة ١١٢ .
٤٥ . الكشف لمكي ١/٤٢٢ .
٤٦ . الكشف ١/٤٢٢ ، وانظر الكشاف ٣١٥ .
٤٧ . البحر ٤/٥٤ .
٤٨ . الكشف ١/٤٢٢ .

٤٩ . الأنعام ١٤٥ .
٥٠ . معاني القرآن للنحاس ٥٠٧/٢ ، والمحرر الوجيز ٣٧٩/٥ .
٥١ . البحر ٢٤١/٤ .
٥٢ . التوبة ١٢٨ .
٥٣. الكشاف ٤٥٥ .
٥٤ . يوسف ١٨ .
٥٥ . الجامع ٢٨٧/١٢ .
٥٦ . يوسف ١١٠ .
٥٧ . الكشف ١٥/٢ ، وروح المعاني ٧١/١٣ .
٥٨. الكشف ١٥/٢ ، وروح المعاني ٧١/١٣ .
٥٩. الكشف ١٥/٢ .
٦٠. الكشف ١٥/٢ ، وانظر الإجابة ١٠٠ ، والجامع ٤٧٣/١١ ، وروح المعاني ٧١/١٣ .
٦١ . طه ٦٣ .
٦٢ . روح المعاني ٢٢٤/١٦ .
٦٣ . الكشف ١٠٠/٢ .
٦٤ . روح المعاني ٢٢٤/١٦ .
٦٥ . روح المعاني ١٦ /٢٢٤ .
٦٦ . المؤمنون ٦٠ .
٦٧ . معاني القرآن ٤٦٩/٤ ، وروح المعاني ٤٤/١٨ .
٦٨. معاني القرآن ٤٦٩/٤ ، وانظر تخريج المحقق للحديث في الهامش .
٦٩ . يس ٧٢ .
٧٠. معاني القرآن للفراء ٣٨١/٢ ، والكشاف ٨٩٩ ، والجامع ٤٨٦/١٧ قال : وكذا في مصحفها .
٧١ . هذا النقل غير موجود في الكشاف بتحقيق خليل مأمون شيحا ٨٨٩ ، ومراده أنها جمع ركوب .

٧٢ ـ البحر المحيط ٣٤٧/٧ ، وانظر روح المعاني ٥١/٢٣ .

٧٣. النور ١٥ .

٧٤ ـ معاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ ، والكشاف ٧٢٢ ، وفتح الباري ٥٤٣/٧ .

٧٥ ـ معاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ ، والبحر المحيط ٤٣٨/٦ ، وفتح الباري ٥٤٣/٧ .

٧٦ ـ روح المعاني ١١٩/١٨ ، وانظر كلام أبي حيان في البحر ٤٣٨/٦ .

٧٧ ـ روح المعاني ١١٩/١٨ ، والبحر ٤٣٨/٦ .

٧٨ ـ الزمر ٥٩ .

٧٩ ـ الكشاف ٩٤٥ .

٨٠ ـ البحر المحيط ٤٣٦/٧ ، وروح المعاني ١٩/٢٤ .

٨١ ـ معاني القرآن للنحاس ١٨٨/٦ ، والبيت لزهير بن أبي سلمى انظر تخريجه في هامش المصدر المذكور .

٨٢ ـ الواقعة ٨٩ .

٨٣ ـ البحر المحيط ٢١٥/٨ .

٨٤ ـ الكشاف ١٠٨٠ ، وانظر البحر ٢١٥/٨ .

٨٥ ـ التبيان ١٢٠٦/٢ .

٨٦ ـ الدهر ٢١ .

٨٧ ـ البحر ٣٩٩/٨ .

٨٨ ـ النازعات ٣٦ .

٨٩ ـ البحر ٤٢٣/٨ ، وروح المعاني ٤٥/٣٠ .

٩٠ ـ البحر ٤٢٣/٨ ، وانظر الكشاف ١١٧٧ .

٩١ ـ روح المعاني ٤٥/٣٠ .

٩٢. روح المعاني ٤٥/٣٠ .

٩٣ ـ التكاثر ١ .

٩٤ ـ البحر ٥٠٨/٨ ، وروح المعاني ٢٨٧/٣٠ .

٩٥ . هود ٤٦ .
٩٦ . معاني القرآن للفراء ١٨/٢ .
٩٧ . معاني القرآن للفراء ١٨/٢ .
٩٨ . الكشف ٤٦/١ . ٥٣٠ ، وانظر الكشاف ٤٨٦.
٩٩. يوسف ٦٥ .
١٠٠ . روح المعاني ١٣ /١٣ .
١٠١ . النساء ١٦٢ .
١٠٢. شرح شذور الذهب ٥١ .
١٠٣ . شرح شذور الذهب ٥١ ، وانظر روح المعاني ٢٢٣/١٦ .
١٠٤ . شرح شذور الذهب ٥١ .
١٠٥ . شرح شذور الذهب ٥١ ، وانظر القول أيضا في الإنصاف ٤٧١/٢ ، وقد حاول الأنباري الدفاع عن هذا القول فقال بعد ذكره له ونسبته إلى السيدة عائشة : " وروي عن بعض ولد عثمان أنه سئل عنه فقال : إن الكاتب لما كتب : وما أُنزِلَ من قبلك ، قال : ما أكتب ؟ فقيل له : اكتب : والمقيمين الصلاة ، يعني أن المُمْلي أعملَ قوله اكتب في المقيمين على أن الكاتب يكتبها بالواو كما كتب ما قبلها ، فكتبها على لفظ المملي . " ، وانظر مزيداً من هذا في معاني القرآن للفراء ١٨٣/٢ ، والكشف لمكي ١٠٠/٢ ، والكشاف ٢٧١ ، والمحرر الوجيز ٢٩٠/٤ ، والبحر ٣٩٥/٣ .
١٠٦ . روح المعاني ٢٢٣/١٦ ، ورواية الخبر فيه عن عائشة أنها قالت : يا ابن أخي هذا عملُ الكتاب أخطأوا في الكتاب
١٠٧ . روح المعاني ٢٢٣/١٦ بتصرف يسير .
١٠٨ . البحر المحيط ١٥٩/٨ .
١٠٩ . إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٣ .
١١٠. النجم ١٥ .
١١١ . روح المعاني ٥١/٢٧ .

١١٢ ـ انظر البحر المحيط ١٦٠/٨ ، وفي روح المعاني ٥١/٢٧ أنها قالت رضي الله عنها : من قرأ به فأجنه الله تعالى ، أي جعله مجنونا..إلخ.

١١٣ ـ التبيان للعكبري ١١٨٧/٢ ، وروح المعاني ٥١/٢٧ .

١١٤ـ معاني القرآن للفراء ٩٧/٣ .

١١٥ ـ أي مثل قوله تعالى في سورة السجدة (١٩) : " فلهم جنات المأوى نزلا " انظر البحر المحيط ١٦٠/٨ .

١١٦ ـ إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٣ .

١١٧ ـ إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٣ .

١١٨ـ المحتسب ٢٩٣/٢ .

١١٩ ـ البحر المحيط ١٥٩/٨ ، وروح المعاني ٥١./٢٧

١٢٠ ـ البقرة ٢٢٥ .

١٢١ ـ معاني القرآن للفراء ١٤٤/١ .

١٢٢ـ معاني القرآن ١٨٩./١

١٢٣ ـ البقرة ٢٣١ .

١٢٤ ـ معاني القرآن ٢١١/١ ، وانظر مثل ذلك في ٢٠٧/٤ . ٢٦٨/٦ ، وانظر أيضا إعراب القرآن للنحاس ٥٨٩/٢ والعقد الفريد ٢٨٠/٢ .

١٢٥ـ البقرة ١٥٨ .

١٢٦ ـ المشلل : جبل .

١٢٧ ـ البقرة ١٥٨ ، وانظر الجامع للقرطبي ٤٧/٢ ، وانظر تخريج الحديث في هامش المصدر المذكور .

١٢٨ ـ الجامع ٤٧٠/٢ ، والإجابة ١٤٣ .

١٢٩ ـ أحكام القرآن ٤٧/١ ، والجامع ٤٧٦/٢ ، والإجابة ١٤٤ .

١٣٠ـ المائدة ٨٩ .

١٣١ ـ البحر ١٠/٤ .

١٣٢ـ الإجابة ١٤٤ .

١٣٣- أحكام القرآن ١/٤٧

المصادر والمراجع

- أحكام القران ، لابن العربي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، توزيع عباس الباز ، مكة المكرمة.

- الأنوار المحمدية للشيخ يوسف النبهاني ، دار الفكر ، لبنان .

- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ، تحقيق سعيد الأفغاني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ _١٨٧٠ م .

- إعراب القرآن ، للنحاس ، تحقيق للدكتور زهير غاوي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد نشر وزارة الأوقاف العرقية .

- الإمتاع والمؤانسة ، لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، المكتبة العصرية ، بيروت .

- الإنصاف في المسائل الخلاق ، للأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٩٨٣ م _ ١٤٠٣ هـ .

- التبيان في إعراب القران ، للعكبري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، البابي الحلبي .

- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي ومشاركيه ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ _ ٢٠٠٦ م .

- حاشية الصبان على شرح الأشموني (ضمن مجلد واحد) ، مكتبة البابي الحلبي ، مصر .

- روح المعاني ، للآلوسي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ _ ١٩٧٨ م .

- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢ هـ _ ١٩٨٢ م .

- شذرات الذهب ، لابن العماد ، تحقيق مصطفى عبد القادر العطا ، توزيع عباس الباز ، مكة المكرمة .

- شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

- شواهد التوضيح ، لابن مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ _ ١٩٨٣ م .

- العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، شرح إبراهيم الأبياري ، تقديم الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي .

فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، عناية الشيخ عبد العزيز بن باز .

- فقه اللغة ، للثعالبي ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٢ هـ _ ١٩٧٢م.

- الكشف عن وجوه القراءات ، لمكي ، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤ هـ _١٩٧٤ م .

- الكشاف ، للزمخشري ، عناية خليا مأمون شيحة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق عبد الله علي الكبير وزملائه ، دار المعارف ، مصر .

- مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف في مصر .

- المحرر الوجيز ، لابن عطية ، تحقيق الرحالي الفاروق وزملائه ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

- معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق احمد يوسف نجاتي وزملائه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- معاني القرآن ، للنحاس ، تحقيق الشيخ محمد الصابوني ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ _ ١٩٨٩ م.

الرسائل الجامعية :

-اللآلي المنثورة في شرح المقصورة ، لابن حازم ، تحقيق سعيد آل يزيد القرني وعبد الله السرحاني ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية .